

أضواء البيان

@ 321 @ أَذَاهُمْ { إلى غير ذلك من الآيات . ! 7 7 ! قوله تعالى : { إِرْزَّاهُ كَفَيْدُنَاكَ الْمُؤَسَّتَهُزَّاءِينَ } . بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه كفى نبيه صلى الله عليه وسلم المستهزئين الذين كانوا يستهزؤون به وهم قوم من قريش . وذكر في مواضع أخر أنه كفاه غيرهم . كقوله في أهل الكتاب : { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ } ، وقوله : { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ } ، إلى غير ذلك من الآيات . .
والمستهزؤون المذكورون : هم الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن قيس السهمي والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب . .
والآفات التي كانت سبب هلاكهم مشهورة في التاريخ . قوله تعالى : { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يعلم أن نبيه صلى الله عليه وسلم يضيّق صدره بما يقول الكفار فيه : من الطعن والتكذيب ، والطعن في القرآن . وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر . كقوله : { قَدْ نَعْلَمُ إِرْزَّاهُ لِيَحْزُنُكَ اللَّهُ يَقُولُونَ } ، وقوله : { فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ } ، وقوله { فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسُكَ أَلْمِ الْإِنسَانَ } .
يُؤْمِنُوا بِهِ أَذًا الْخَدِيثَ أَسَفًا { وقوله : { لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسُكَ أَلْمِ الْإِنسَانَ يَكُفِّرُوا مَوْلَانَا } إلى غير ذلك من الآيات . وقد قدمنا شيئاً من ذلك من الأنعام . قوله تعالى : { فَسَيَجْعَلُكَ رَحْمَةً مِنْ السَّاجِدِينَ } .
أمر جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بأمرين : أحدهما قوله : { فَسَيَجْعَلُكَ رَحْمَةً مِنْ السَّاجِدِينَ } ، والثاني قوله : { وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ } . .
وقد تكرر تعالى في كتابة الأمر بالشئيين المذكورين في هذه الآية الكريمة ، كقوله في الأول : { فَسَيَجْعَلُكَ رَحْمَةً مِنْ السَّاجِدِينَ } .
{ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ } ، وقوله : { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ } .
وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ { والآيات بمثل ذلك كثيرة . .
وأصل التسبيح في اللغة : الإبعاد عن سوء . ومعناه في عرف الشرع : تنزيه الله